"لا شيء هو نتيجة عمل لا شيء"

- شكسبير -

وليام شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦):

"الإنكليزي الذي أصبح عالمياً"

لا يذكر الأدب إلا ويذكر معه شكسبير رديفاً هاماً، حتى يخيل للكثير أن لا أديب غربي سواه، فأعماله العظيمة لا تزال تدرس وتنقد وتمثّل، بل ويثار حولها الجدل أحياناً. وفي كتابه المثير للجدل "المئة الأوائل" اختاره د. مايكل هارت الشخصية السادسة والثلاثين من بين الشخصيات المئة التي كان لها بالغ الأثر على البشرية.

من هو شكسبير الذي ملأت الدنيا شهرته، ووقف الأدباء منبهرين أمام روعة أدبه؟

ولد الأديب الإنكليزي وليام شكسبير في قرية ستراتفورد في الثالث والعشرين من نيسان سنة ١٥٦٤، كانت أمه ماري آردن امرأة طيبة قد حصلت على ثروة عن طريق الإرث، وأما أبوه فقد كان من طبقة متوسطة، وما كانت تجارته مقتصرة على نوع واحد من البضاعة، وإنما كان يتعامل في بيع وشراء مختلف البضائع: الحبوب، اللحوم، وكذلك الجلود، فحالته المعيشية كانت جيدة. وقد مكنته سمعته الطيبة بين أهل بلدته من أن يتدرج في وظائف البلدية حتى أصبح رئيسا لمجلسها بينما كان عمر وليام خمس سنوات.

التحق ويليام شكسبير بمدرسة البلدة عندما كان في السابعة من عمره حيث تلقى تعليمه اللاتيني كما كان النظام آنذاك إلا أن ويليام ترك المدرسة في سن التخرج تقريبا بسبب كارثة مالية نزلت بالأسرة، وفي تشرين ثاني من العام ١٥٨٢م تزوج وليام شكسبير من " هاثوي" ابنة رئيس أحد مزارعي البلدة، وهو في الثامنة عشرة من عمره، وكانت فقيرة الحال إضافة إلى أنها كانت تكبره بحوالي ثماني سنوات، ويقال: إن هذا الزواج تم تحت ضغط اجتماعي ربما مارسه أحد أولياء أمور الفتاة؛ إذ بعد ستة أشهر من تحرير عقد الزواج وضعت الزوجة ابنة شكبير الأولى "سوزانا"، ولقد أقام شكسبير منذ زواجه في بيت أبيه، وفي العام ١٥٨٥م رزق شكسبير بتوأمين (ذكر وأنثى) غير أن الذكر مات وعاشت البنتان وتزوجتا وورثتا والدهم.

وفي العام ١٥٨٧م ترك وليام شكسبير أسرته في رعاية والده ورحل إلى لندن وتعددت الآراء بسبب رحيله، وفي لندن ظهر شكسبير كشاعر مجيد حين قدم قصيدته القصصية (فينوس وانيسن) ثم قصيدته الأخرى (اغتصاب لوكريس). وفي العام التالي التحق بفرقة مسرحية ويقال: إنه عمل تحت إشراف "كريستوفر مارلو" كاتب الفرقة الأول، أما في العام ١٥٩٤م فقد عرف كممثل في فرقة "اللورد شامبرلين" والتي عرفت فيما بعد باسم "فرقة الملك أو رجال الملك". كرس شكسبير لهذه الفرقة عبقريته كمؤلف وممثل مسرحي، ثم حالفه الحظ ونجحت مسرحياته أدبياً ومالياً، عندها أسس مسرح جلوب (Globe Theatre) سنة ١٥٩٩م، وكان شكسبير شريكاً فيه، وعملت فرقته في نفس المسرح، وقدمت فيه أعظم أعماله المسرحية، وبعد أن أصبح شكسبير ميسور الحال رجع إلى بلدته ستراتفورد.

- توقيع شكسبير بيده -

إن شهرته طبقت الآفاق أكثر من أي أديب عاصره أو سبقه، أو جاء بعده؛ إذ إن أعماله المسرحية بلغت سبعة وثلاثين عملاً على الأقل، هذا غير القصائد الشعرية والمنثور من قوله. إن أعمال شكسبير في معظمها لم تكن من إبداعه وإنما كانت أصولها من أعمال آخرين، كأن تكون حكاية، أو رواية، أو عملاً مسرحياً ممثلاً سابقاً، غير أن موهبته الفائقة تكمن في إعادة تركيب تلك الأعمال بصورة أفضل، فيضيف ويحذف حتى يحصل على عمل مسرحي جيد، ويقول النقاد: إنه كان يكتب لعصره، وقد استعمل في كتاباته أكثر من عشرين ألف مفردة مستقلة. خاصة أن شكسبير استعمل كل الضروب الأدبية والبلاغية من استعارة وتشبيه وكناية وجناس وطباق، وأما التلاعب بالكلمات فلا حد له، وهذا دليل على إلمامه وغزارة معرفته بالمعاني الكثيرة للمفردة الواحدة، وعلى الرغم من كثرة أعمال شكسبير وبلوغها أكثر من ستة وثلاثين مسرحية غير أنه ما كانت هناك اثنتان منها متشابهتين أو تتركان الانطباع نفسه فينا، وهذه ميزة تميز بها على معاصريه، وهناك الكثير من الميزات في كتاباته لا مجال لسردها في هذا المجال الضيق.

وبالنسبة لمسرحياته فقد قسمها النقاد إلى ثلاثة أنواع من الناحية الشكلية والمضمون وذلك في ضوء تسلسلها التاريخي والتقريبي:

أولاً: المسرحيات الكوميدية، ومنها:

الحب جهد ضائع (١٥٩١).

كوميديا الأخطاء (١٥٩٠/١٥٩١).

حلم منتصف ليلة صيف (١٥٩٣/١٥٩٥) والتي تعد من أشهر مسرحياته.

تاجر البندقية (١٥٩٤/١٥٩٦).

زوجات وندسور المرحات (١٥٩٨).

جعجعة بلا طحين (١٥٩٩).

كما تهواه (١٦٠٠).

العبرة بالخواتيم (١٥٩٥/١٦٠٤).

واحدة بواحدة (١٦٠٣/١٦٠٤).

ثانياً: المسرحيات التاريخية، ومنها:

جون الملك (١٥٩٢/١٩٥٣).

ريتشارد الثاني (١٥٩٤).

هنري السادس ج١،ج٢،ج٣ (١٥٩٠-١٥٩٢).

ثالثا: المسرحيات التراجيدية(المأساوية)، ومنها:

تيتوس اندرينكوس (١٥٩٠/١٥٩١).

روميو وجولييت (١٥٩٤/١٥٩٧)، وهي أشهر مسرحياته على الإطلاق.

يوليوس قيصر (١٥٩٩/١٦٠٠).

هاملت أمير الدنمارك (١٦٠٠).

عطيل (١٦٠٤).

مكبث (١٦٠٦).

انطونيو وكليوباترة (١٦٠٨).

أما من ناحية تقييم شكسبير فهناك من يعتبره مؤلفاً، وهناك من يعتبره مقتبسا وليس مؤلفا أصيلاً، ولكن وحسب قانون حماية المؤلف اليوم فإن

شكسبير يعتبر حسب بنود القانون الناص" على تحوير أدب من نوع إلى آخر" مؤلفا جديدا مع الاحتفاظ بحق المؤلف الأصلي إلا أن شكسبير عاش في عصر لم تكن حقوق الملكية صادرة ولم يكن ليتّهم أي أحد، كما لم يقم بتوثيق المصدر الأصلي. لذا نرى اليوم الباحثين والدارسين يقومون بهذه المهمة ويعيدون الحقوق إلى أصحابها. لكن هذا لا يغير الحقيقة، وهي أن شكسبير كان وما زال كاتبا عبقريا بغض النظر عن مصادره الشعبية أو التاريخية.

- تمثال شكسبير في لندن -

وفي الختام يجدر القول بأن بيته في ستراتفورد قد تحول إلى متحف وطني يرتاده السياح وأن مسرحه قد أعيد بناؤه من جديد، وتقدم عليه أعظم الروائع الشكسبيرية.

توفي شكسبير في ٢٣ إبريل عام ١٦١٦ ودفن داخل كنيسة أبرشية ستراتفورد.